يسوع أم باراباس

(مرقس ١٥:١-٢٠)

تأليف: جو شوبيرت

سنقف يوماً ما أمام يسوع. ما سيفعله بنا حينذاك يتوقف على ما نفعله به الآن. في الأصحاح ١٥ من إنجيل مرقس، وقف يسوع أمام بيلاطس وأمام هيرودس وأمام الشعب وأمام الرومان. أنظر إلى ما فعله الإنسان بمن اختاره الله!

١. أمام بيلاطس (مر ١٥:١-٥)

جاءوا بيسوع أمام بيلاطس البنطي الوالي الروماني لليهودية. يقول مرقس:

> وللوقت في الصباح، تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس. فسأله بيلاطس: «أنت ملك اليهود؟» فأجاب وقال: «أنت قلت.» وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً. فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً: «أما تجيب بشيء؟ انظر كم يشهدون عليك! فلم يجب يسوع بشيء حتى تعجب بيلاطس» (الآيات ١-٥).

الأصحاح السابق يحدثنا عن أحداث الليلة الماضية عندما تمت خيانة يسوع وقبض عليه وقدم أمام سنهدريم اليهود. كان الموضوع هو هل ما كان يسوع هو المسيا الموعود به أم لا؟ يبدأ الأصحاح ١٥ من إنجيل مرقس في الصباح التالي، وأخذ السنهدريم يسوع ليقدموه أمام السلطة الرومانية، بيلاطس البنطي. بموضوع مختلف ليس «هل هو المسيا الموعود به؟» ولكن عوضاً عن ذلك «هل هو ملك اليهود كما أدعى أن يكون؟»

نحن لا نعلم كيف قضى الرب الساعات الخمس أو الست التي هي بين ظهوره أمام السنهدريم وظهوره أمام بيلاطس البنطي. ربما كان ليسوع بعض الوقت لينام في تلك الليلة الخطيرة لخيانته والقبض عليه. ولكننا نعلم بانه في الصباح الباكر أتوا به أمام الكهنة مرة أخرى وأمام السنهدريم بكامله. بما ان الاجتماع الأصلي كان في الليل وبما ان اجتماع تلك الليلة كان غير قانونياً، كان على أعضاءالسنهدريم ان يبرروا أفعالهم ويعقدوا اجتماع في النهار.

وأيضاً لم يكن للسنهدريم السطان لينفذ حكم الأعدام. الحكم بالاعدام يجب أن يقره الوالي الروماني وتنفذه السلطات الرومانية. كان السنهدريم يعلم بان التهم التي أدانوا بها يسوع سوف لن تثبت أمام الوالي الروماني. اتهم سنهدريم اليهود يسوع بالتجديف.كان اتهامهم ضده هو: «أنت تدعي بانك الله، لهذا تستحق الموت.» ولكنهم علموا بان الرومان لا يهتمون بتلك التهمة بل وسيعتبرون التهمة ليست سوى مجادلة دينية يهودية. انهم علموا ذلك، ولكي يجعلوا قضيتهم تصمد أمام السلطات الرومانية، كان عليهم أن يأتوا بسبب سياسي في اتهاماتهم.

لهذا يقول لوقا بان اليهود قرروا أن يوجهوا ثلاث تهم مميزة ضد يسوع. أولاً: اتهموه بافساد الأمة. بانه كان يحرض للقيام بالاضطرابات ويشجع المظاهرات والمعارضات. ثانياً: اتهموه بانه يمنع أن تُعطى الجزية لقيصر. ثالثاً:

اتهموه بانه يريد أن يكون ملكاً آخر غير قيصر.

اهتم بيلاطس بالتهمة الأخيرة فقط. عندما سمع التهم الثلاث، ركز على الأخيرة فقط. التفت إلى يسوع وقال: «هل أنت ملك اليهود؟» أجاب يسوع ببساطة قائلاً: «نعم، كما قلت أنت» (أنظر لوقا ٢٣:١-٥).

في إنجيل يوحنا نقرأ بان يسوع استمر ليقول عند هذه النقطة: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا» (يوحنا ١٨:٣٦). في هذه الكلمات، كان يسوع يحاول أن يجعل بيلاطس يرى بانه مادامت مملكته ليست من هذا العالم، فهي لا تضع أي تهديد على روما مهما كان.أعتقد أن بيلاطس فهم هذا. أعتقد انه تنفس الصعداء لانه رغم ان يسوع يدعي بانه كان ملك اليهود بالمفهوم الديني، لم يكن {يسوع} يخطط لانقلاب على سلطة الروم. وأعتقد ان بيلاطس أدرك بانه ليس في خطر حقيقي. يتضح بان رؤساء الكهنة بدأوا يروا بان بيلاطس افتهم بان يسوع لم يكن يهدد سلطة الرومان. يخبرنا مرقس بان رؤساء الكهنة كانوا يشتكون على يسوع كثيراً. بدأوا يلقوا على المحكة كل الشكاوي التي أمكنهم التفكير بها لكي يؤهلوا الرب للاعدام.

في تعليق واضح في الآية ١٠ يقول مرقس بان بيلاطس عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد اسلموا يسوع له حسداً. لم يكن بيلاطس أحمق. بل كان والي قاسي وأناني، ولكن لم يكن مغفل. عرف ما كانوا يحاولون أن يفعلوه. كانوا يحاولون أن يشركوا يسوع؛ وعرف لماذا كانوا يحاولون ذلك. كانوا ببساطة يحسدون يسوع على مكانته ونفوذه بين الناس.

الحسد يعني الرغبة في أزالة شيء يملكه شخص آخر. ما أراد الكهنة أن يملكوه هو نفوذ يسوع وسلطانه على الناس. مراراً وتكراراً خلال خدمته، كان كهنة اليهود يحاولون من دون جدوى أن يوقعوا يسوع من خلال كلماته بنفسه. كان له دائماً كلمة، كلمة بسيطة التي تدحض مخططاتهم الشريرة. مثل هذا البراعة والسلطان جعلتهم غاضبين وحاسدين.

إلى كل هذه الشكاوي الاضافية التي كان يلقي بها رؤساء الكهنة على يسوع، يقول مرقس بان يسوع بقى صامتاً تماماً. تعجب بيلاطس الوالي من هذا وقال: «يا يسوع، ألا تجيب بشيء أبداً؟ ألا تفهم كل هذه الشكاوي التي يتهمك اليهود بها؟» أيضاً يقول سجل الإنجيل بان يسوع لم يجب بكلمة. يسجل مرقس تعجب بيلاطس للمرة الثانية.

ماذا تعتقد السبب في بقاء يسوع صامتاً؟ ماذا تعتقد السبب في تعجب بيلاطس البنطي من صمته؟ كان يسوع يعرف بان بيلاطس في سلطته وسلطانه يمكن أن ينقذه من الصلب الذليل. في إنجيل يوحنا ١٩:١٠-١١، يقول يوحنا بان بيلاطس قال ليسوع: «أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطان أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» أجاب يسوع: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق. لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم.» تقهقر بيلاطس عند هذا. ولكنه كان متأكدا تماماً من شيء واحد: هذا الذي يقف أمامه لم يكن مذنباً بأية جريمة حقيقية. لهذا كان مصصم أن يطلقه. يقول لوقا بان بيلاطس كلم رؤساء الكهنة والجموع في هذه اللحظة قائلاً: «إني لا أجد علة في هذا الإنسان» (لوقا ٢٣:٥). لم يكن بيلاطس شيطانا متجسدا. بل كان ضعيفاً. لو كان لبيلاطس أن يفعل إرادته لأطلق يسوع بكل تأكيد. من غير شك، كان بيلاطس يتعاطف في هذه اللحظة مع يسوع وليس مع الكهنة.

٢. أمام هيرودس (لوقا ٢٣: ٧-١٢)

السجلات المقابلة تخبرنا بانه في ذلك الوقت، أرسل بيلاطس يسوع إلى هيرودس. هيرودس الذي كان يُعتَبر ملك اليهود، حاول أن يسخر من يسوع. طلب منه أن يجري معجزة، ولكن رفض يسوع ووقف أيضاً صامتاً. لهذا رده هيرودس إلى بيلاطس.

٣. أمام الشعب (مر ١٥:٦-١٥)

هنا يقول مرقس:

> وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً من طلبوه. وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفقائه في الفتنة الذين في الفتنة فعلوا قتلاً. فصرخ الجمع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائماً يفعل لهم. فأجابهم بيلاطس قائلاً: «أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟» لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً. فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس. فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم: «فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟» فصرخوا أيضاً: «اصلبه!» فقال لهم بيلاطس: «وأيَّ شر عمل؟» فازدادوا جداً صراخاً: «اصلبه!» فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم، أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب (الآيات ٦-١٥).

يخبرنا كُتاب الإنجيل جميعا عن باراباس. انه كان سافك دم وثوري ومتعصب وعاصي ورجلاً كان قد عزم على قلب حكم السلطة الرومانية بعنف. كان سهلا على براباس أن يجز عنق جندي روماني أويقوم بأعمال النهب و السرقة. يخبرنا كل من مرقس ولوقا بجلاء بان باراباس كان سافك دم.

كان وقت الفصح، وكان لبيلاطس عادة أن يطلق سجيناً ليسترضي اليهود في عيد الفصح. وهذه فرصة مناسبة، قال بيلاطس بانه سيسمح لليهود ليقرروا أي سجين يطلق سراحه هذه السنة. «إذا ما وضعتُ أمامهم أفسد انسان يمكن أن آتي به ويسوع، فبكل تأكيد انهم سيختارون يسوع عوضاً عن الآخر»، هكذا ظن. انها كانت وسيلة تدل على البراعة لوضع الكرة في ملعب اليهود. قرر بيلاطس أن يعرض لهم باراباس رجلاً فاسداً و «أسير مشهور» على حد كلمات متى ١٦:٢٧، أسوأ ما يمكن أن يجده. أعطى الجموع الخيار وقال كما يدونه متى البشير في الأصحاح ٢٧ من إنجيله: «من تريدون أن أطلق لكم؟ باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح؟» صرخ الجموع: باراباس! باراباس! ثم سأل بيلاطس: «فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود؟» فصرخوا: «اصلبه! اصلبه! سأل بيلاطس: «وأي شر عمل؟» فازدادوا جداً صراخاً: «اصلبه!» ثم أتت الكلمات المحزنة: «فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم، أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب.»

قد ظن الناس خلال السنين، بانه كان سر مخفي لأن الجمع الذي كان قد استقبل يسوع عند دخوله أورشليم قبل اسبوع راكباً على حمار، هو الجمع نفسه الذي يصرخ الآن في جنون قائلين: «اصلبه!» ما لهذا التغير؟ قد تكمن الإجابة، جزئياً على الأقل في خيبة أمل الجمع بيسوع. كانت أورشليم في هذا الوقت من عيد الفصح مليئة بالناس الذين كان قد شفاهم يسوع. وكان المئات وربما آلاف من الناس الذين في أورشليم في هذا الاسبوع من عيد الفصح قد لمسهم يسوع بصفة شخصية. وانه قد أوقد في نفوس هؤلاء الناس الرجاء بانه قد يكون مسيا الله الموعود به الذي قد جاء لكي يحررهم من عبودية الروم. كل أفكارهم المعروفة ركزت حول الفكر بان المسيا هو الذي سيطلق سراحهم من عبودية الروم البغيضة. عندما كانوا يرون يسوع واقفاً أمام السلطات الرومانية، من غير إرادته أو حتى غير قادر أن يدافع {عن نفسه}، أجهض كل ولائهم له. في غضب وخيبة أمل، انقلبوا عليه واختاروا باراباس سافك الدم. وبدا بيلاطس مذعورا حقاً عند هذا الاتجاه من الأحداث، ولكن كان عليه أن يختار. لأنه كان يريد أن يرضي رغبات الإنسان، رغبات الجموع، فاستسلم أمام أختيار الشعب.

كم مرة واجه فيها الشباب مثل هذا النوع من القرار يومياً تقريباً؟ ليختاروا بين يسوع أو الجموع. يسوع أو مجموعة الند. يسوع أم العصابة. تقول الجموع: «تعال وجرب هذا! انه شيء عظيم؛ انها رحلة رائعة؛ هذا حسناً؛ تعال! هذه المرة فقط.» تأتي الإجابة بجبن: «كلا، لا استطيع. أنا مسيحي.» ولكن بوسط ساخر و بضحكات، وبعد قليل، ينهار الشخص أمام الجمع. أتعجب كم منا نحن البالغين قد واجهوا هذا النوع من الخيار والقرار نفسه.

يخبرنا يوحنا ان أحد التهديدات التي استمر اليهود يهتفون بها على بيلاطس هو: «إن أطلقت هذا، فلست محباً لقيصر...» (يوحنا ١٩:١٢). كان المنصب أعلى مناصب روما كلها. وكان بيلاطس يشغله. وكان خائفاً من فقدانه، هؤلاء اليهود المزعجين كانوا قد اشتكوا عليه إلى روما. فأتى التهديد المباشر: «إن أطلقت يسوع، هذا يثبت بانك غير مخلص لقيصر.» كان اخلاصه في موضع الشك، وكان ذلك أمراً خطيراً، لأن ذلك قد يؤثر على وظيفته. بالنسبة لبيلاطس أصبح الخيار: يسوع أم وظيفته.

ذلك النوع من الخيار يهدد الأمن الشخصي. أليس كذلك؟ في أعمالنا أو وظائفنا إذا جاء شيئا موازياً لذلك، يكون معاكساً للسلوك والمباديء المسيحية. نقرر أن نقوم بالمساومة. وندافع عن القرار بالقول: «حسناً، بعد كل ذلك، على الشخص أن يحيا، أليس كذلك؟» من الذي قال بان على الشخص أن يحيا؟ لم يحيا يسوع، بل مات.

السخرية موجودة في هذا هو أن لم تمضي عدة سنين بعد هذا، كما يقول التاريخ العلماني، حتى مضى اليهود مباشرة وأبلغوا عن بيلاطس لقيصر عن مسألة أخرى؛ ونال عقاباً. انهى بيلاطس المطاف ليس بفقدان وظيفته فحسب، بل فقد نفسه أيضاً. أتستطيع مواجهة ذلك النوع من القرار؟ يورد لنا متى التأثير الكامل لهذه الأحداث عندما كتب ما يلي:

> فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: «إني بري من دم هذا البار. أبصروا أنتم.» فأجاب جميع الشعب وقالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا.» حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع، فجلده وأسلمه ليصلب (متى ٢٧:٢٤-٢٦).

٤. أمام الرومان (مر ١٥:١٦-٢٠)

إن كنت قد قرأت عما يستخدمه الرومان عند عملية الجلد، فأنت تعرف كم كان دموي ومُر. كانوا يستخدمون سياط جلدية طويلة مثبت في نهايتها قطع حديدية أوعظمية وعندما تنهال سيور السياط تلك على جسد الضحية، تشرط جسده من ظهره وتمزقه حتى يسيل الدم. أحياناً تقلع عيني الضحية من شدة الضربات مات الكثيرون تحت هذا الضغط. وآخرون أصيبوا بالجنون إلى حد أبعد. قليلون جداً أستطاعوا أن يبقوا في صاحين الوعي خلال عملية التعذيب.

لماذا أمر بيلاطس بهذا التعذيب القاسي وهو عالماً بان الصلب سيتبع؟ كانت هذه آخر محاولة من بيلاطس ليخلص يسوع، لينقذه، تمنى أن يوقظ تعاطف الجموع بالجلد. تمنى بأنه عندما يرى الجموع قسوة المعاناة التى وضعت على يسوع، ستثور عواطفهم ويقولوا: «كفى هذا يا بيلاطس. الآن أتركه وشأنه.» يخبرنا يوحنا بانه بعد الجلد أخرج بيلاطس يسوع وأوقفه أمام الجموع وقال: «هوذا ملككم!» (يوحنا ١٩:١٤ و ١٥). ولكن فشلت محاولات بيلاطس. بتشجيع من رؤساء الكهنة، استمرت الجموع صارخين في جنون قائلين: «خذه! خذه! اصلبه.»

يقول مرقس:

> فمضى به العسكر إلى الدار التي هي دار الولاية، وجمعوا كل الكتبة. وألبسوه أرجواناً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه. وابتدأوا يسلمون عليه قائلين: «السلام يا ملك اليهود!» وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم. وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه، ثم خرجوا به ليصلبوه (الآيات ١٦-٢٠).

كان هذا الاستهزاء شيئا غريبا. عادة لم يفعل مثل هذا الشيء للذاهب إلى الصلب. يقول مرقس بان العسكر جاءوا وشاركوا في الاستهزاء به. العسكر الذين كانوا خارج العمل والعسكر الذين كانوا يتسكعون جاءوا سوياً وشاركوا في السخرية منه. يبدو عفوياً انهم ضغطوا ذلك الإكليل من الشوك على جبهته؛ وألبسوه ثوب ملوكي وجثوا في سجود ساخر. بصقوا عليه. وأخيراً، خرجوا به ليصلبوه. كان إشعياء قد أشار إلى هذه المعاملة عندما كتب

قبل سبع مئة سنة من هذا الحدث قائلاً: «وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا» (إشعياء ٥٣:٥).

الخلاصة

بكل تأكيد كان باراباس من بين الذين رأوا يسوع يموت في وقت لاحق من ذلك اليوم. عندما نظر إلى وجه وهو معلق على ذلك الصليب الذي في الوسط، عرف أن شيء واحد أكيد: عرف بان الذي تعلق على ذلك الصليب الذي في الوسط، كان موته بدلاً عنه. عرف بان الصليب الذي في الوسط كان صليبه. عرف بان المسامير الضخمة التي غرزت في أيدي يسوع كانت المسامير التي كان عليه أن يُسمر بها. وعرف بطريقة شخصية بان يسوع الناصري يموت بدلاً عنه.

تحت الصليب، أنت وأنا نقف بالضبط كما وقف باراباس. الرجاء الوحيد الذي نملكه هو بان شخصاً آخر مات بديلاً عنا. هناك ترنيمة إنجيليزية تقول:

كان هناك الذي شاء أن يموت
بديلاً عني
حتى النفس الحقير يمكن أن تحيا؛
وفي الطريق نحو الصليب أراد أن يمشي،
ليغفر كل خطايا حياتي.

سمرت خطاياي على الصليب!
سمرت إياها على الصليب!
يا له! كم كان يرغب أن يتحمل!
بأي ألم وخسران!
ذهب يسوع إلى الصليب!
حمل خطاياي معه إلى هناك.

مات يسوع لكي ننال مغفرة الخطايا ونحيا إلى الأبد مع الله والمفتدين في السماء. ما هي استجابتك ليسوع الناصرى؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧